Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i4

الاعتراف الصادق في الشعر الأموي

دعاء حسين ثجيل
جامعة ذي قار – كلية التربية, doaa.h.thajeel@utq.edu.iq

أ. م. د. رحيق صالح فنجان
جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الإنسانية, m.raheaq.s.fanjan@utq.edu.iq

الملخص

يُعد الاعتراف الصادق من أبرز الظواهر النفسية والأدبية التي ظهرت في الشعر الأموي، إذ يعكس هذا النوع من الاعتراف مواقف ومشاعر الشعراء الحقيقية، ويظهرها أمام المتلقي، بصدق دون تكلف، وقد تجلى هذا النوع من الاعتراف في موضوعات عدة، كالتوبة، والحب، والندم، والتخلي عن المواقف السابقة، كما يمثل هذا الاعتراف إحساسًا صادقًا بالندم والرغبة في إصلاح الذات، إذ لا يقتصر على مجرد إعلان الاعتراف والتوبة، كما يمثل اعتراف الشاعر أمام محبوبته محاولة لاستعادة مكانته المفقودة، كما يمثل هذا الاعتراف لحظة مواجهة الذات وإقرارها وهذا ما يجعل منها لحظة شجاعة، إذ يضع الشاعر نفسه في موضع يجعله يقر بتناقضاته واخطائه أمام الآخرين، كما يخفف هذا الاعتراف من ثقل الذنب على الصعيد النفسي للإنسان، فيمثل لحظة السلام والتصالح الذاتي، كما يمنح النص بعدًا اخلاقيًا، بما يحتويه من صدق عاطفي لا يهدف فيه صاحبه إلى مصلحة شخصية، حتى يغدو هذا الاعتراف الذنبي الصادق وسيلة يكشف فيها الشاعر عن مشاعره، ورغبته في إعادة التقدير لذاته، فيمثل هذا الاعتراف لحظة وجودية بالنسبة لذات الشاعر، إذ تعبر عن جوهر صراعه الذاتي، بين الرغبة في التقدير والخوف من فقدانه، ولم تكن ظاهرة الاعتراف في الشعر الأموي مجرد وسيلة بلاغية، بل هي ممارسة أخلاقية وجودية تظهر رغبة الذات في الخلاص والتبرير ونيل الغفران، سواء من الذات أو من الآخر أو من الله سبحانه وتعالى.

الكلمات المفتاحية : الاعتراف، الشكوى، الشعر الأموي، الإنكسار، الشعور بالذنب.

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i4

Sincere Confession in Umayyad Poetry

Researcher: Doaa Hussein Thajeel
University of Dhi Qar - College of Education, doaa.h.thajeel@utq.edu.iq

Supervisor: Assistant Prof. Dr. Rahiq Saleh Finjan
University of Dhi Qar - College of Education for Humanities, m.raheaq.s.fanjan@utq.edu.iq

Abstract

Sincere confession is considered one of the most prominent psychological and literary phenomena that appeared in Umayyad poetry, as this type of confession reflects the poets 'true attitudes and feelings, and presents them to the recipient with honesty and without affectation. This type of confession was manifested in several themes such as repentance, love, remorse, and the abandonment of previous positions. It also represents a sincere sense of regret and the desire for self-reform, as it is not limited to merely declaring confession and repentance. The poet's confession before his beloved also represents an attempt to regain his lost status, and it represents a moment of self-confrontation and acknowledgment, which makes it a moment of courage, as the poet places himself in a position that makes him admit his contradictions and mistakes before others. This confession also alleviates the burden of guilt on the psychological level of the human being, and represents a moment of peace and self-reconciliation. It also grants the text a moral dimension, with its emotional sincerity that is not intended for personal interest, so that this sincere confessional guilt becomes a means by which the poet reveals his feelings and his desire to restore his self-worth. This confession thus represents an existential moment for the poet's self, as it expresses the essence of his inner conflict between the desire for recognition and the fear of losing it. The phenomenon of confession in Umayyad poetry was not merely a rhetorical device, but rather an ethical and existential practice that reveals the self's desire for redemption, justification, and forgiveness, whether from the self, from the other, or from God Almighty.

Keywords: Confession, Brokenness, Umayyad Poetry, Repentance, Guilt

المقدمة

يشتمل معنى الاعتراف على معاني البوح والإخبار الإقرار بذنب أو خطيئة، وقد ظهرت جذوره في الديانة المسيحية والطقوس الكنسية إذ يؤدي الانسان اعترافاته بين يدي القديس، وما هذه الاعترافات إلا بعثا لحياته من جديد حتى وكأنه يعود شخصا جديدًا مفرغًا من الخطايا والآثام باعترافه بين يدي الكاهن ((أخذ الاعترافات أو اعطاء المشورة وهو من صميم البناء الذاتي للأنسان من خلال العلاقة الثنائية بين الكاهن والمعترف)) (جامقاس، 2015م، صفحة 16) ،وهكذا يشكل الاعتراف في الديانة المسيحية وسيلة لتطهير النفس وبعثها من جديد عائدة نحو مسار صالح وحياة صالحة ، وهذا تماما يتصل بمعان الاقرار والبوح حيث يتم هنا الاقرار بالذنوب والآثام بين يدي الكاهن.

وكثيرًا ما تُشبه هذه الاعمال بجلسات العلاج النفسي اليوم التي يكشف فيها الانسان عن ما مكبوت في دواخله امام المعالج النفسي، إلا أن الاختلاف في الامرين يكون في أن ((سر الاعتراف لابد ان يقترن بالتوبة والإيمان وبالغفران مع العزم الصادق على التغيير بفاعلية غفران دم المسيح الذي يطهر كل خطية، انه فعل غفران وتغيير من وإلى، من الخطية إلى البر ومن الظلمة إلى النور ومن الدنس إلى القداسة، إنه تحول من الشعور بالذنب إلى الشفاء)) (جامقاس، 2015م، صفحة 17) ، إذ يمثل الاعتراف في كلا الحالتين إنما هو طريقة للتنفيس، والإفضاء لما في دواخل النفس الإنسانية، وكما هو الأمر عند المذنب أو المعترف في الطقوس الكنسية والمريض في التحليل النفسي كذلك الأمر عند الشاعر، إذ يرى في كتاباته مجالًا للتنفيس عن مكنوناته والتعبير عن خوالجه، فيكشف عمَا يعتلج في صدره من هموم وذنوب فيكشف عنها مشاركًا إياها المتلقي، لدواعي تخفيف ما في النفس من اعتلال نتيجتها.

والشاعر بوصفه إنسانًا معرضًا للخطايا والذنوب حاول التعبير عنها عبر نصه الشعري، معترفًا بخطاياه كاشفًا عنها، في محاولة منه للوصول الى مرحلة التحرر، فيشاركها مع المتلقي، الذي قد يشاركه الشعور كاشفًا عن مشاعر صادقة بالذنب حيالها، فيمثل اعترافه نقدًا صريحا لذاته فهو نابع من شعور ذاتي، وهو شعور بالحاجة الى التعبير عنها ومناقشتها أمام الملأ، ووفقًا للنصوص التي استقرأناها في هذا العصر نوجه هذه الدراسة في محاور ثلاثة صادقة المشاعر وسنقوم بعرض دوافع البوح بها من قبل الشاعر .

أولا: الاعتراف بالذنب واللجوء إلى الله:-

يأتي الجانب الديني والإقرار بالذنب والتقصير، والأفراط بارتكاب الآثام بمقدمة الجوانب الاعترافية التي يقر بها الشاعر عبر نصوصه، وغالبًا ما يأتي الأمر في أواخر حياته بعد إدراكه أن سهام الموت باتت قريبة تهدد حياته، وللتخفيف من وطأة سوء العاقبة المحتملة لما بعد الموت والتحرر من عقدة الذنب، ورجاء العفو إلتجأ الشاعر الأموي إلى الله سبحانه وتعالى بطلب المغفرة والتوبة مصرحًا بها في نصوصه (الزير، 1989م، صفحة 573) ، وهذا ما نشاهده عند أعشى همذان الذي يتوجه إلى ربه بتوبة عّما سلف من اعماله، فيقول (أبو ياسين، 1983م، صفحة 147) : (الرجز)

أستغْفِرُ اللهَ أعمالي التي سَلَفَتْ من عثرةٍ إن يعاقبني بِهَا أَبِقِ

ونجد الأمر ذاته عند وضاح اليمن الذي يشعر بدنو اجله، ويرى نفسه قد أسرف في الغزل والمجون الذي كان شغله الشاغل عن ذكر الإله والتقرب إليه فيقول (الاثري، 1996م، صفحة 71) : (الرجز)

مالَكَ وَضَّــاحُ دَائــمَ الغَـزَلِ أَلَسْتَ تَخْشَى تَقَارُبَ الأَجَلِ

صَلِّ لِذِي الْعَرْشِ وَاتَّخِذْ قَدَمَا تنجيكَ يَـوْمَ العِثَارِ والزَّلَلِ

فالشاعر يقر بإسرافه في اللهو والمجون ويلوم نفسه على تهافتها على الحياة والملذات على الرغم من معرفته أن نهايتها حتمية، ويأخذ دور الناصح لذاته فيوصيها بالصلاة وذكر الإله عسى ان تكون منجية له يوم الحساب .

كما نجد بعض الشعراء يجاهرون باعترافاتهم لذنوب اقترفوها، كما نجده عند عبد الله بن عوف الأحمر الذي قتل رجلا فندم على فعلته فأعلن توبته، معترفًا بذنبه، قائلا (الجزري، 1987م، صفحة 276) : (الطويل)

قتلت أخا بني أسد سفاهـا لعمر أبـي فما لقيت رشـــدي

قتلت مصليـــا محياء ليــل   طويــل الحُزْنِ ذا بر وقصـــدِ

قتلــت أخــا تقي لأنال دنيا   وذاك لِشَقْوَتِي وعشار جدي

فهب لي توبةً يا رب واغفر   لمـــا قارفت من خطــأ وعمدِ

فالشاعر يأخذ على نفسه مجرى اعترافيًا واضحًا، بالذنب المقترف وهو قتل النفس بدلالة الفعل (قتلت)، والذي يأخذ مجراه في الابيات السابقة مؤكدا على فعله هذا، وكأن الشاعر يؤكد اعترافه هذا بتكراره فعل القتل، كما يؤكد ندمه البليغ بعد معرفته صلاح المقتول وتقواه، ثم لا يتوانى عن الاستغفار وطلب المغفرة من الله تعالى مقرا بما اقترفه على شقوةٍ منه، وان اعترافه هذا وندمه إنما جاء بعد إدراكه فضائل المقتول خلال تعداده تلك الفضائل بتحسر وحس رثائي، فالأبيات تعد تجسيدًا للتوبة النصوح، كما ترد في المصادر الدينية والنفسية، إذ نلاحظ لوم الشاعر لنفسه محملًا بشعور عميق بالذنب واصفًا فعله هذا بعدم الرشد، الأمر الذي يجعل الأبيات تعكس وعيًا أخلاقيًا متكررًا في ابياته، عبر الاعتراف الصريح بالقتل، مما يعمق الشعور بالخطيئة عنده، إذ أن ((الاعتراف بالخطيئة يتضمن شكوى النفس من النفس)) (التل، 2006م، صفحة 349) ، وتبلغ التوبة ذروتها عند توجه الشاعر الى ربه لطلب المغفرة، مظهرا خشوعه وجامعا بين الاعتراف بالخطأ وصدق الندم والتوبة الصادقة التي ((تزول بها مشاعر الإثم وتستعيد النفس طمأنينتها)) (التل، 2006م، صفحة 349) .

وهذا نعمان بن بشر الأنصاري يقر بذنبه مشفقا على نفسه راجيا المغفرة من ربه (الجبوري، 1968م، الصفحات 92 - 93) : (الطويل)

ربّ انـي ظلمت نفسي كثيراً   فاعفُ عنّي أنت الغفورُ الودودُ

وقنـــي شـــرَّ ما أخافُ فأني   مشفـــق خائـــف لمـا تستعيـــدُ

من خطوب اذا ذكرت ذنوبي   وقـــرأت القـــرآن فيـــه الوعيد

فالشاعر يقّر بأنه ظلم نفسه بما سولت له طالبًا العفو والمغفرة من الله، ليقيه عذاب يوم الوعيد حين تُجزى كل نفس بما كسبت، من العواقب التي كلما قرأ القرآن رأى فيه من الوعيد ما يجعله يحاسب نفسه عائدا الى ربه بتوبة ملؤها الرجاء .

ومن الشعراء من يضيق ذرعا بالخطايا والآثام ويراها وبالًا عليه، ويسعى إلى التوبة والاستغفار عمّا اقترفه من ذنوب حتى تراه متخبطًا بين توبةٍ وعودةٍ الى الآثام، وهذا الفرزدق رغم ما عرف عنه من أهاجي وتعرض للآخرين، غير انه تواقٌ للتوبة والاستغفار حتى يبدو في حالة مد وجزر في شعره بين استغفارٍ تارة وتعرض تارةً اخرى نتيجة الصراع القبلي في حلبة الشعر (الصبة، 2002م، الصفحات 25 - 26) ، إلا أنه حاول ان يختتم حياته بتوبة الى الله يتوب فيها عن ما سلف بعد ان تقدم به العمر وأخذ منه الدهر مأخذه فنراه يلوذ إلى ربه بتوبة قائلا (الحاوي، 1983م، الصفحات 405 - 406) : (الطويل)

ألـــم ترنـــي عاهَدتُ رَبِّـــي، وإنّـــي   لَبَيْـــنَ رِتَـــاجٍ قَائِـــمٌ وَمَقَـــامِ

علـــى قســـم لا أشتمُ الدهر مُسْلِماً ،   وَلا خارجـاً مِنْ في سوء كــلام

ألم ترنـــي والشِّعْـــرَ أَصْبَـــحَ بَيْنَنَـــا   دُرُوءُ مِـــنَ الإِسْلَامِ ذاتُ حُـــوَامِ

بهن شفى الرحمن صدري ، وقد جلا   عَشًا بَصَرِي مِنْهُنَّ ضَـــوْءُ ظَلَام

فأَصْبَحْتُ أَسْعَـــى فِـــي فَكَـــاكِ قلادَةٍ   رَهِينَـــةِ أَوْزَارٍ عَلَـــي عِظَـــام

أحـــاذر أَنْ أُدْعَـــى وَحَوْضِي مُحَلَّقٌ ،   إذا كَـــانَ يَوْمُ الوِرْدِ يَوْمَ خِصَـامِ

و لَـــمْ أَنتَهِ حَتـــى أَحاطَتْ خَطِيئَتِـــي   وَرَائِي وَدَقَّتْ للدهورِ عِظَامِـــي

لَعَمْـــرِي لَنِعمَ النَّجِيُّ كَـــانَ لِقَوْمِـــهِ   عَشِيَّـــةَ غَبَّ البَيْعُ نِجْيُ حُمَـــامِ

بِتَوْبَـــةِ عَبْـــدٍ قَـــدْ أَنَـــــابَ فُؤَادُهُ ،   وَمَا كَانَ يُعْطِي النَّاسَ غير ظلام

فنفس الشاعر اللوامة دفعت به الى توبة يعاهد بها ربه ألا يعود الى القذع والتعرض للمسلمين في قصائده، والمعروف عن الفرزدق اهاجيه ونقائضه التي يعارض بها غيره، إلا انه سعى الى ربه راجيًا عفوه، عاملًا في الخير عسى ان تكون هذه التوبة منجية له، وهذه المشاعر خرجت من نفسٍ اعياها كثرة التخبط في الآثام فخرجت مشاعر صادقة، والشاعر ذاته يعترف بانه لم يصل الى هذا الحال الذي هو عليه من توبة وإنابة إلا بعد ان بلغت خطاياه مبلغها واضرمت في نفسه الذنوب، حتى دقت الدهور عظامه، فكما ذكرنا ان كثيرا ما تكون التوبة والعودة بالاعتراف والإقرار بعد تقدم المرء بالسن ويندم على ما سلف من اعماله، فالفرزدق يعترف بعودته وإنابته بعد ما كان لا يصدر عنه إلا الضلالة ، ((وعلاقة الاستغفار بمواجهة الموت تأتي من أن الموت هو الجسر إلى مصير الإنسان الحقيقي ورجوعه الى الله، حيث الجزاء والعقاب والثواب والمغفرة، لهذا الشاعر يبادر هذا الموت الاستغفار ليقيل الله عثراته)) (الزير، 1989م، صفحة 569) .

وإيقان الفرزدق بأنه سيلاقي الموت جعله يفر الى ربه بالتوبة والإقرار بأنه عصا ربه وأطاع ابليس دهرا (الحاوي، 1983م، صفحة 407) : (الكامل**)**

أَطَعْتُكَ يا إبليس سَبْعِينَ حِجَـةٌ ،   فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي، وَتَمَّ تَمَامِي

فَرَرْتُ إلى رَبِّي ، وأَيْقَنْتُ أَنّنــي   مُلَاقٍ لأيــام المَنُونِ حِمامــي

وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ الَّتِي كُنْتُ خَائِفاً ،   وكُنْــتُ أَرَى فِيهَـا لِقَاءَ لِزَامِ

حَلَفْــتُ عَلَى نَفْسِي لاجْتَهِدَنَّهَــا   عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَةٍ وَسَقَــامِ

فالفرزدق يعترف انه أرخى لجامه لإبليس في أوائل حياته، ويتضح ذلك في دلالة استعماله للفعل (اطعتك)، ومن خلال المشهد الحواري الذي رسمه عبر استعماله للضمير الكاف وحرف النداء في قوله (يا ابليس) فأطاعه سبعين سنة حتى تقدم به العمر وأخذ منه كل مأخذٍ واحس بدنو أجله، فعاد إلى ربه مستغفرًا تائبًا، ويأخذ العهد على نفسه بالعمل الصالح والاجتهاد، ويمكننا إسقاط هذا النموذج من الاعتراف الذي يعتبر أبرز تجليات الاعتراف الحقيقي في التصور الفلسفي للنفس السوية، إذ ((كلما اتفقت فطرته مع السوية التي خلق الله الناس عليها كلما آلمها الخطأ وأستبد به الشعور بالندم)) (قاسم، 2019م، صفحة 553) ، فالشاعر عبّر عن ذنبه نادمًا، وعازمًا على توبة صادقة والتي تُعد ((دليلًا على استواء الفطرة في أعلى درجاتها)) (قاسم، 2019م، صفحة 553) .

كما نجد ظاهرة الاستغفار واللجوء الى الله واضحة عند بعض الصعاليك الذين دفعتهم الصعلكة الى البطش والقتل والسرقة والإغارة، حتى انتهى بهم الحال إلى ما هم عليه من ذنوب ومخاوف جراء هذه الأعمال، فأخذوا يتوجسون سهام القدر التي قد تصيبهم، ((حيث استشعروا ذنوبهم فأوجسوا الخيفة من نتائجها بعد الموت، وهي مشاعر انتابتهم وهم على أعتاب الموت، الذي يفصل بين حياتي الدنيا والآخرة، وهو في الوقت نفسه المفضي بهم الى ما بعده من ثواب وعقاب)) (الزير، 1989م، صفحة 570) **.**

فهذا عبد الله بن ايوب العنبري يبتهل الى الله بتوبة قائلا (القيسي، 1976م، صفحة 1 / 215): (الطويل)

أنا الغلام عتيـــق الله مبتهـل   بتوبـــة بعد احـــلاء وامـــرار

خليت بابات جهل كنت أتبعها   كما يـودع سفر عرصـــة الـدار

اني لاعلم اني سوف يتركني   صحبي رهينة ترب بين أحجــار

فردا برابيـــة أو وسط مقبرة   تسفي علي رياح البارح الذاري

فيصور الشاعر قلقه حيال أعماله السالفة التي أرتكبها بجهله، وبعد ان أقسم له أعداؤه بأنه سيكون من ساكني النار، الأمر الذي جعله يبتهل إلى الله بهذه الدعوة تائبًا عن ما بدر منه من آثام، ويتجلى ذلك في استعماله ضمير المتكلم (انا الغلام)، كما ويعترف في بيته الثاني بما كان يقترفه بجهله في الماضي المندثر الذي يحاول دثره بهذه التوبة، كما ان توظيفه للأفعال

واستخدامه للجمل الفعلية في (خليت، كنت، يودع) تحمل دلالة الاستمرار والتجدد ليرسم هذه الصورة المتحركة والمتطلعة لحياة جديدة بعد التوبة، مؤكدا توجسه من الموت وخوفه منه بعد أن يتركه الصحب والخلان تحت الأتراب لا أنيس له ولا خليل سوى عمله، فالأبيات تمثل نموذجا صادقًا للتوبة المقرونة باعتراف وجودي أخلاقي، حيث تتحول الذات فيها من الجهل الى البصيرة ، وهو القائل ايضا (القيسي، 1976م، صفحة 1 / 225) : (الطويل)

يا رب عفوك عن ذي توبة وجل كأنه من حذار الناس مجنون

قــد كــان قدم أعمالا مقاربــة أيــام ليس له عقل ولا ديـن

فهذا الإقرار والاعتراف ناتج عن نفس مدركة لأخطائها، طالبة للعفو والمغفرة مُقرة ومذعنة بأيام جهلها وصباها، وهذا اللوم إنما عائد إلى الذات العليا (الضمير)، الذي يحاسب صاحبه، ومهما تقدم به العمر تتقدم به الذات إلى المحاسبة واللوم على ما يقترف كما ان استخدام الشاعر لياء النداء في قوله (يا رب عفوك) اعطت دلالة على عمق الألم واللوعة التي تملكته، فلم يجد مغيثًا له سوى الله تعالى، كما عَمَّق دلالة الاستغاثة استخدامه للفظة (وجل) والتي تعني ((رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته)) .

وهذا مرار بن سعيد الفقعسي يُعلن استغفاره بعد أن أدرك دنو أجله والإحساس بشيخوخته مُقرا بلهوه ولعبة مستغفرا عنه (القيسي، 1976م، الصفحات 2 / 446 - 447) : (الطويل)

وقـد لعبت مــع الفتيــان ما لعبــوا وقــد أحــد وقد أغنـي وأفتقــر

استغفر الله من جــدي ومن لعبــي وزري فكــل امري لابــد متــزر

وانما لــي يــوم لست سابقه حتــى يجيبــي وإن أودى بــه العمــر

أيســأل الناس عن سني وقد قدعت لي الاربعون وطال الورد والصدر

لما رأى الشيب قد هاجت نصيته بعد الحــــلاوة حتــى أخلس الشعــر

فيقبل الشاعر بتوبة واستغفار على الله لما اقترفه من أخطاء في صباه وشبابه من لعب، ويقر بأن كل امرئ له ما له من الذنوب والأوزار، ويربط توبته هذه بشيخوخته وتقدمه في السن فلا بد له من العودة إلى الله عز وجل، وإن طال به العمر فلا مرجع بالأيام حتى تعود أيام صباه، فلا يرى سبيل للنجاة إلا في التوبة واللجوء لله تعالى عسى ان يكون منجيا له يوم الحساب، إذ تمارس ذات الشاعر لحظة تطهير داخلي عبر محاكاة الماضي والندم على ما أقترف من معاصٍ فيه .

ثانيا: اعتراف الشعراء العشاق :-

قد يتخذ الإنسان بعض القرارات التي تؤدي به الى عواقب وخيمة، ممكن أن تنتهي بالندم ، نتيجة عدم دراسة الموضوع بصورة كافية والتسرع في اتخاذ القرار؛ فهي حالة شعورية يشعر خلالها الفرد باليأس والإحباط، وقد تؤدي به الى أزمة نفسية تظهر في صورة التحسر والبكاء على ما اقترفه، وتمثل فكرة الفراق مصدر حزن وقلق على الشاعر، وهو السهم المتربص بالعاشقين، فالفراق شعور ذاتي طالما حمل الشاعر ألم مكابدته فعاش حزينا باكيا فراق أحبته، و((يعد وجع النأي أشد ما يلاقيه المحب عند فراق من يحب، وكيف إذا اصابه الندم ؟!، فذلك أشد مرارة وحرقة)) (عواد، 2023م، صفحة 9) ، ومن يتمعن في علاقات المحبين لاسيما عند الشعراء فإنها علاقة ود وحب لا تنتهي، إلا أنها قد يشوبها الكثير من مشاعر الألم والحزن تعكر صفو هذه العلاقة نتيجة موقف أتخذه الشاعر تجاه المحبوبة انتهى بهما الى القطيعة والبعد (عواد، 2023م، صفحة 11) ، ثم الندم على ما جناه على نفسه .

وفي حديثنا عن الندم عند المحبين من الشعراء يأتي شيخ النادمين والباكين في العصر الأموي (قيس بن ذريح) في صدارة الحديث، الشاعر الذي تناقلت كتب الأدب أخباره وأشعاره وبكاءه على فراق زوجته بعد طلاقها، وينقل لنا صاحب الأغاني من اخباره، أن قيس بن ذريح فتن بلبنى وتزوج بها إلا انه لم يرزق منها بأولاد حتى طلب أبويه منه طلاقها، وبعد

رفض ومكابدة منه على ذلك الأمر أطاعهما فيه، فطلقها وقضى حياته في البكاء عليها وعلى نأيها عنه، وندامة على ما أطاع فيه أبويه (الأصفهاني، 2002م، الصفحات 9 / 133 - 136) ، فيقول (المسطاوي، 2004م، صفحة 84) : (الكامل)

نَدِمْتُ على ما كانَ مِنّي ندامَةً كَما يندَمُ المَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ

فالشاعر لا يتوانى عن الإقرار بندامته على ما أقترفه مع زوجته، ولا يضمر بكاءه ومعاناته بل نجده يصرح معترفًا بخطيئته كل ما سنحت له فرصة البكاء على لبناه، إذ يقول (المسطاوي، 2004م، صفحة 115) : (الكامل)

ظَلَمْتُكِ بِالطَّلَاقِ بِغَيْرِ جُرْمٍ فَقَدْ أَذْهَبْتُ آخِرَتِي وَدِيْنِي

وفي ندمه وبكائه كذلك يقول (المسطاوي، 2004م، صفحة 88) : **(البسيط)**

تُبَكِّي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا وَكُنْـتَ كَاتِ حتفهُ وَهُوَ طَائِـعُ

فَلا تَبْكِينْ فِي إِثْرِ لُبْنَى نَدَامَةً وَقَدْ نَزَعْتُها مِنْ يَدَيْكَ النَّوَازِعُ

فالشاعر من خلال هذا النص الحواري بينه وبين ذاته التي تنازعه وتلومه على ما بدر منه تجاه لبنى، يُسائلها علامَ البكاء والندب وهو الذي خلاها، حتى بدا كالذي يذهب الى منيته طواعية، كما ان البيت نفسه يحمل اعترافا صريحا بتركه لبنى، فتزجره ذاته عن البكاء والندامة فقد كانت لبنى بين يديه حليلةً له وهو من تخلى وسمح بانتزاعها منه وذهابها عنه، وهذا الحوار القائم على حديث الذات وتوبيخها صاحبها إنما ينم عن مشاعر الإحساس بالذنب والخطيئة المقترفة تجاه حليلته دون ذنبٍ منها، وقد احسن الشاعر في استعماله للجمل الفعلية في (تبكي، تركتها، تبكين، نزعتها) وهذه جميعها تدل على الاستمرار وتجدد الحدث، وتكرار لفظة البكاء في البيتين دلالة على ديمومة الندم، فقد ذهبت لبنى وهو من فرط في ذلك، ويقول في موضع بكائي ندمي آخر (الأصفهاني، 2002م، صفحة 9 / 49) : (الطويل)

فَوَا كَبِدِي وَعَاوَدَنِي رُداعِي وَكَانَ فِراقُ لُبْنَـى كـالـخِـدَاعِ

تَكَنَّفَنِي الوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِـي فَيَا لَلنَّاسِ لِلْوَاشِي المُطَـاعِ

فَأَصْبَحْتُ الغَدَاةَ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ

كَمَغْبُونٍ يَعَضُّ عَلَى يَدَيْـهِ تَبَيَّنَ غَيْنَـهُ بَعْـدَ البِيَـاعِ

بِدَارِ مَضِيعَةٍ تَرَكَتْكَ لُبْنَـى كَذَاكَ الحَيْنُ يُهْدَى لِلْمُضَـاعِ

وَقَدْ عِشْنَا نَلَةُ العَيْشَ حِينـاً لَوَ أَنَّ الدَّهْرَ لِلإِنْسَـانِ رَاعِ

ولكنَّ الجَمِيعَ إِلَـى افتراق وَأَسْبَابُ الحُتُوفِ لَهَـا دَوَاعِ

فالشاعر يعاود حنينه للبنى وعيشه معها، وكأن هذا الفراق الذي بينهم كالحلم الذي استفاق منه او كخدعة يأبى تصديقها، وقد احاط به الوشاة حتى ضاق فيه قولهم وازعجه تدخلهم بينهما ويعجب من الناس والوشاة وامرهم في التدخل بشؤون غيرهم، ثم ينتهي به الأمر إلى لوم نفسه والاعتراف بخطأه عندما اطاع الوشاة فبات كالذي تاجر وغُبن في تجارته، ويستذكر لبنى وظلمه إياها حين تركها في ضياعها ويستذكر لذة عيشه معها ويتمنى لو ان الدهر راعاه في ذلك العيش، وينهي أبياته بحقيقة مطلقة قائمة عليها البشرية وهي النأي والوداع، فكل جمع في الدنيا هو الى فراق على اختلاف الاسباب، وما هذه الاسباب إلا وسيلة لهذه الحقيقة الحتمية التي تقوم عليها الدنيا، كما شكل استخدام للعبارة الصوتية (واكبدي) دلالة على حرقة الشاعر ومكابدته لهذا الفراق المرغم عليه، فحملها دلالة مدى ما يعانيه نتيجة هذا القدر الذي كتب عليه فراق لبنى، فجاء هذان الصوتان (وا) اللذان يحملان صوت الندب والتحسر، كما مثلت الوشاة الذين أزعجه لومهم له على حالة والديه هما آخر على عاتقه والتي تمثل بدورها ((جزء من منظومة القهر الاجتماعي)) (عبد و سالم، 2022م، صفحة 76) ، فالوشاة والرقباء ((هم رموز للمجتمع المتمثل بالعادات والتقاليد الصارمة وأعرافه)) (اليوسف، 1978م، صفحة 51) ، والتي مثلت للشاعر مصدرًا للقهر والضغط حتى انتهى به الامر الى الطلاق، إذن فالأبيات تعبر عن وعي وجودي بالمسؤولية الشخصية، إذ يحمل الشاعر

نفسه عبء هذه الخسارة، كما يمكن قراءة هذه الابيات وفق ما جاء في الفلسفة الكيركجاردية في حديثه عن القلق والندم، إذ يرى أن الأنسان يعيش القلق عندما يُجبر على اتخاذ قرار دون يقين وحين يتضح خطأ ذلك الخيار يتجلى الندم بوصفه تعبير عن الخطأ (الهلالي، 2021م) ، ويتجلى هذا الأمر في ابيات الشاعر إذ يندم على ما كان منه وإطاعته أمر الوشاة وبهذا تتحول الابيات الى اعتراف ذاتي يحمل نقدًا عميقًا للذات .

وفي ذلك يقول (المسطاوي، 2004م، صفحة 100) : (الطويل)

وقالوا : أسلُ عن لبنى، فقد كُنْتَ قَبْلَهَا ... بِخَيْرٍ فَلَا تَنْـدَمْ عَلَيْهَـا وَطَلِّقِ

فَطَاوَعْـتُ أَعْدَائِـي وَعَاصَيْتُ نَاصِحِي ... وَأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ المُتَخَلِّقِ

وَدِدتُ وَبَيْـتِ اللهِ أَنِّـي عَصَيْتُهُـمْ ... وَحُمِّلْتُ فِي رِضْوَانِهَا كُلّ مُوبِقِ

وَكُلِّفْـتُ حَوْضَ البَحْرِ والبَحْرُ زَاخِـرٌ ... أَبِيتُ عَلَـى أَثْبَـاجِ مَوْجٍ مُغْرِقِ

كَأَنِّـي أَرَى النَّاسَ المُحِبِّيـنَ بَعْدَهـا ... عُصَارَةَ مَصْـلِ الحَنْظَلِ المُتَفَلِّقِ

فَتَكْـرَهُ عَيْنِـي بَعْدَهـا كُـلّ مَنْظَـر ... وَيَكْـرَهُ سَمْعِـي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقِ

فهذه الصورة الشعرية الحوارية التي نلمحها خلال الافعال (قالوا، طاوعت) يكشف الشاعر عن معاناته النفسية وما انتهت اليه حالته بعد أن نفذ أمر الوشاة والأعداء وعصيانه لناصحيه، ويقر معترفًا بندامته على ما أطاعهم فيه وتمنيه لو انه عصاهم في ذلك الأمر وحمل الصعاب الموبقات في سبيلها، ودفاعا عن عشقه وتهيامه بها وان كلفه الامر خوض البحر ومواجه المغرق لا لوم الوشاة فقط، فما عاش حبًا بعدها ولا صبابة حتى ويرى ان الحب بعدها مذاقه كالحنظل شديد المرارة ((وقد خص قيس الحنظل المتفلق لأنه شديد المرارة فضلا عن كونه يسبب في سيل الدموع من العين بغزارة وبمجرد شم رائحته فإنه يزيد من إنزال دموع العين من دون السيطرة عليها)) (محمد، 2014م، صفحة 116) ، وان توظيف قيس للحواس اللسان الذي يكون فيه المذاق حنظلًا والعينان المكرهتان لكل منظر بعدها والسمع الذي يكون عنده كل منطق محظور لديه بعدها، إنما دلالة وفائه لها واختصار للحب والوله عليها فلا حاجة له بغيرها، بعد ان طلب اهله والوشاة الزواج بغيرها عساه يسلوا عنها .

وفي ندمه عليها ايضا يقول (المسطاوي، 2004م، الصفحات 61 - 62) : (الطويل)

وَفَارَقْتُ لُبْنَـى ضَلَّـةً فَكَأَنَّنِـي ... قُرِنْتُ إِلـى العَيُوقِ ثُمَّ هَوَيْـتُ

فَيَـا لَيْتَ أَنِّي مُـتُّ قَبْلَ فِرَاقِهَـا ... وَهَـلْ تُرْجِعَنْ فَوْتَ القَضِيَّةِ لَيْتُ

فَصِرْتُ وَشَيْخِي كالذي عَثَرَتْ بِهِ ... غَـدَاةَ الوَغَى بَيْنَ العُدَاةِ كُمَيْتُ

فَقَامَتْ وَلَـمْ تُضْرَر هنـاكَ سَوِيَّةً ... وَفَارِسُهـا تَحْـتَ السَّنَابِكِ مَيْتُ

فإنْ يَكُ تَهْيَامِـي بِلُبْنَـى غَوَايَـةٌ ... فَقَدْ، يَا ذَرِيحُ بْنَ الحُبَابِ، غَوَيْتُ

يتمنى الشاعر لو انه لاقى منيته قبل فراقه لمحبوبته حتى بدا له فراقها وشدة وقعه فيه، وكأنه قُرن بالنجم ثم هوى، ويحمل البيت الاول اعتراف الشاعر بفراقه لبنى وهجرها، وكأن والديه قد صارا سببا في الطلاق ولا يستطيع ردعهما كالعثرة التي يكمنها الاعداء في الحرب لينالوا منه، ويؤكد ان كان هيامه بلبنى تهمة له فهو يؤكدها لهم، فالأبيات تجسد إذن الاعتراف الأخلاقي الذي يتقاطع فيه البعد العاطفي مع البعد الأخلاقي، إذ يعبر الشاعر عن ندمه بعد فراق محبوبته، مع الاعتراف الضمني بخطأه، مكرسًا صورة الانكسار لديه عبر وصف نفسه بالفارس الصريع .

ولا يقتصر الأمر على قيس بن ذريح بل هناك أيضا من الشعراء نشدوا نادمين معترفين لمحبوباتهم وخليلاتهم، وهذا الفرزدق ينشد نادمًا بعد طلاقه لنوار فيقول (الحاوي، 1983م، صفحة 230) : (الطويل)

نَدمْــتُ نَدَامَــــةَ الكُسَعِــيّ لَمَّا غَدَتْ مِنّي مُطَلَّقَةً نَـوَارُ

وَكَانَتْ جَنّتِي، فَخَرَجْتُ منها كَآدَمَ حِينَ لَجَ بِــــهِ الضَّرَارُ

وَكُنْتُ كَفَاقِــى عَيْنَيْهِ عَمْــداً فَأَصْبَحَ مَا يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ

وَلا يُوفــي بحب نَوَارَ عِنْدِي وَلا كَلَفــي بِهَــا إِلَّا انْتِحَـارُ

وَلَوْ رَضِيَتْ يَدايَ بهَا وَقَرَّتْ لَكَـانَ لها على القَدَرِ الخِيَارُ

وَمَا فَارَقْتُهَا شِبَعــاً، وَلَكِــنْ رَأَيْتُ الدَّهْـرَ يَأْخُذُ مَا يُعَـارُ

يظهر الشاعر ندمه على طلاق زوجته معترفًا بجنايته وحسرته عليها، مشبها ندمه بندم الكسعي وهو رجل يُضرب به المثل في ندامته عند العرب، كأن بنوار هي جنته التي طُرد منها كآدم الذي أُخرج من جنته، او صار كمن فقع عينه عمدا حتى فقد بصره، ولو انها بقيت حليلته لكان له على زمنه وقدره إنتصارًا بها إلا ان دهره كاد له في فراقها وطلاقها واستمرار ندامته واضحًا عنده خلال توظيفه للجملة الفعلية (ندمت، غدت، يوفى، رضيت، فارقتها) واستمرار هذه الافعال على طول الأبيات دليل ديمومة هذه اللوعة والحسرة داخله، كما استخدامه لحرف الروي (الراء) الدال على الاستمرارية والتكرار شكل ضغطًا آخر على الشاعر لدوام بثه وشكواه وتحسره هذا، فتتقاطع مشاعر الندم عند الشاعر مع الاعتراف بالخطأ، إذ يظهر نفسه نموذجًا للفرد الذي أضاع الحب نتيجة قرارات خاطئة، فصار هذا الحب كالهبة التي أُهدرت بسوء تقدير وتصرف .

اما عن ندم الأحوص الذي هجر محبوبته فيقول (جمال، 1990م، الصفحات 277 - 278) : (الطويل)

هَجَرْتُكِ أَيَّاماً بِذِي الغَمْرِ إِنَّنِي عَلى هَجْرِ أَيَّامٍ بِذِي الغَمْرِ نَادِمُ

وإِنّي وذاكَ الهَجْرَ لَوْ تَعْلَمِينَهُ كَعَازبةٍ عَــنْ طِفْلِهَا وَهْيَ رَائِمُ

فيقر الشاعر بهجرانه إياها وندمهِ على ذلك الهجر، وأسفهِ عليه، ودلالة هذا الاعتراف في قوله (هجرتكِ) و (نادمُ)، ويصف هذا الهجر وما خلف في نفسه من حسرة واشتياق كالأم التي بعدت عن طفلها وهي عاطفةٌ عليه، فالأبيات تمثل إنموذجًا صريحًا للإقرار بالخطأ والندم عليه، ويُقر ايضا بأن هذا الخطأ لم يكن عن عمد او رغبة، بل هفوة آلمته كما آلمتها، كما يجعل من فقد المحبوبة معادلًا لفقدان الأصل العاطفي ايضا .

ومثل ذلك قول عمر بن ابي ربيعة (محي الدين، 1960م، الصفحات 435 - 436) : (الكامل)

أَعبــدةَ مَا يَنْسَى مَـوَدَّتَكِ الْقَلْبُ وَلَا هُوَ يُسْلِيهِ رَخَاءِ وَلَا كَرْبُ

وَلَا قَوْلُ وَاشٍ كَاشِحٍ ذِي عَدَاوَةٍ وَلَا بُعْدُ دَارٍ إِنْ نَأَيْتِ وَلَا قُرْب

فَإِنْ تَقْبَلِــي يَا عَبْدَ دَعْوَةَ تائـب يُتبَ ثُمَّ لَا يُوجَــدْ لَـهُ أَبَداً ذَنْبُ

وَلَسْتُ بِنَاسٍ يَوْمَ قَالَتْ الأَرْبَــعِ نَوَاعِـمَ غُرَّ كَلَهُنَّ لَهَــا يَرْبُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي فِيمَ كَانَ صُدُودُهُ أَعُلِّقَ أُخْرَى أَمْ عَلَى بِهِ عَتَبُ ؟

يخاطب الشاعر حبيبته مناديًا باسمها معترفا بحبه إياها، فلا تسليه عنه أقوال الوشاة والاعداء ممن يتربص بهم ولا بعد الديار، ويأتيها بتوبة نادمًا مخطئًا تائبًا لها، مصرحًا بعشقه لها ويصور حيرتها بعد نأيه عنها حين تخاطب أترابها من النساء متسائلة عن اسباب هذا البعد، وتظهر لوعة المحب من خلال النداء (أعبده) والمد الذي يحمله هذا الصوت الدال على الاستغاثة والنداء، وتكرار النداء في البيت الثالث (يا عبده) وما يحمله من تضرع وحسرة لقبول توبته، وكل هذه النداءات وتكرار اسم المحبوبة في الابيات وتطويعه أحرف النفي في الأبيات حملت دلالات الندم والاعتراف بالإثم والتضرع للمحبوبة عسى ان يرق له قلبها وينال منها العفو، فهو يقر بندمه صادقًا على ما بدر منه عبر قوله " يُتبَ ثُمَّ لَا يُوجَدْ لَهُ أَبَداً ذَنْبُ"، دالًا على توبة صادقة، فيتخذ من الندم وسيلة للمناجاة والاعتذار وذلك عبر مفردات (يتُب، تائب، لا يسليه) ، فجميع هذه المفردات

انما تدل على إلحاح فكرة الندم والاعتراف بالخطأ على الشاعر، ومن الندم كذلك قول جميل بثينة (البستاني، 1982م، صفحة 68) : (الطويل)

ألا ليتني، قبل الذي قلت، شيب لي — من المدعفِ القاضي سمام الدرارح

فمتّ ولم تعلم علي خيانة ، — ألا رب باغي الربح ليس برابح

فلا تحمليها ، واجعليها جناية، — تروّحت منها في مياحة مائح

أبوء بذنبي ، اني قد ظلمتها، — وإني بباقي سرها غير بائح

فالشاعر ينشد معتذرا منكسرا متمنيًا موته على ان تعلم محبوبته ما فيه من خيانة، معترفا بجنايته وخيانته لها طالبًا منها العفو متبوءًا بذنبه معها، إذ يتجسد الاعتراف بالذنب عبر الأبيات مقرونًا بندم صريح يبلغ به حد التمني للموت على الوقوع بمثل هكذا خطأ، فيجسد الشاعر هذا الندم بوصفه اعتراف يعمل على فتح أفقًا لفهم الذات المذنبة، كاشفًا عن وعي أخلاقي يتقاطع مع مفاهيم الاعتراف والتوبة .

ثالثا :التحسر والتأنيب :-

التحسر هو اللوعة الحزن الشديد، والحسرة ((شدة التلهف والحزن)) (انيس، منتصر، الصوالحي، و الاحمد، د.ت، صفحة 1 / 172) ، اما التأنيب فهو التوبيخ واللوم، وأنبه يعني ((وبخه وعنفه ولامه، أو بالغ في ذلك)) (انيس، منتصر، الصوالحي، و الاحمد، د.ت، صفحة 1 / 28) ، ونقول فلان انبه ضميره ويعني ((احس بالندم والعذاب النفسي لما قام به أو صدر عنه)) (عمر، 2008م، صفحة 1 / 126) ، وسبق الذكر ان الضمير هو الحكم الأول لأفعال الانسان والرادع الأول له فكثير من الشعراء من نادى بصرخات الندم والتحسر، ونجد هذه الظاهرة الاعترافية المليئة بالتحسر عند بعض الشعراء ممن تخلفوا عن نصرة الأمام الحسين (عليه السلام) عند خروجه من المدينة إلى كربلاء، فبعد أن قُتل الامام وسُبيت عياله ظهرت بوادر الندم والتأنيب عند بعض هؤلاء، ومن اوائلهم عبيد الله بن الحر الجعفي الذي كان في مقدمة الشعراء النادمين والباكين على خذلانهم ابن بنت نبيهم، والذي له قصته مع الأمام (عليه السلام) حين دعاه لنصرته فحين نزل الحسين عليه السلام قصر بني مقاتل رأى فسطاطا فسأل لمن، وقيل هو لعبيد الله بن الحر فبعث إليه الأمام يدعوه لنصرته فاستعفى الرسول قائلًا إنما كان خروجي من الكوفة كراهيةً من أن يدخلها وأنا بها، وحين بلغ الرسول الأمام بذلك أتاه الأمام بنفسه فاستعفاه بالكلام ذاته، فقال له الحسين (عليه السلام) إن لم تنصرنا فلا تكن ممن يقاتلنا، فقال له ابن الحر هذا لا يكون ان شاء الله (الطبري، 1971م، الصفحات 5 / 406 - 407) .

فيذهب الأمام الى كربلاء ويستشهد هو وأنصاره وتسبى عياله، فيأسف ابن الحر وتتعالى في نفسه لواعج الحزن والألم فينزع إلى الشعور بالذنب والندم على اعتذاره الأمام وبعث في نفسه دواعي التقريع للذات ولموقفه المتخاذل معه، فيرسم هذا الندم والتقريع شعرا يصرح فيه على تخاذله وندمه معترفًا بتقصيره قائلا (القيسي، 1976م، صفحة 1 / 77) : (الكامل)

يالك حسـرة ما دمـت حياً — تردد بين حلقي والتراقـي

حسيناً حين يطلب بذل نصري — على أهل العداوة والشقاق

ولـو انـي أواسيه بنفسـي — لنلت كرامـة يـوم التلاقي

مع ابن المصطفى نفسي فداء — فيـالله مـن ألـم الفـراق

غـداة يقول لي بالقصر قولاً — أتتركنـا وتزمـع بانطلاق

فلـو فلـق التلهف قلب حي — لهـم اليـوم قلبي بانفلاق

فقد هزت مصيبة مقتل الامام الحسين (عليه السلام) إبن الحر فبث في نفسه لواعج الحزن والأسى والندم بعدم نصرته ونيل شرف الشهادة مع أصحابه، فيتحسر الشاعر بنداء اعترافي ينم عن حسرته وبليغ أثمه، وعظم تقصيره، حتى ليبقى حسيرًا طيلة حياته على موقفه ذلك، وان ابتداء الشاعر قصيدته بنداء التحسر (يا لك من حسرة) دلالة على عظيم إثمه وأثره في نفسه لاتخاذه الموقف الحيادي تجاه ما كان من احداث، وأن هذه الحيادية لم تكن حصيلتها إلا ندامة وتأنيب للذات، وكما أن وصفه لتلك الحسرة وترددها فيه (تردد بين حلقي والتراقي) والتراقي يعني به الترقوة هي العظام التي بين ثغر النحر والعاتق ودقة هذا الوصف لتردد الحسرة بين هذه المنطقة فهي حسرة دائمة مترددة في نفسه يغص فيها ما بقي، ثم إيراده (لو) التي أفادت التمني في البيت الثالث دليل اللوعة والحزن في ذاته فيتمنى لو انه بذل نفسه مع امامه لنال كرامة عند ربه ونبيه، إلا أنه لم يبقَ من الأمر سوى البكاء والتفجع وتقريع الذات، فليس من رجوع لما فات وانقضى، حتى يصل في بيته الأخير الى ذروة الألم والتفجع، إذ يعاني ألمًا أشبه بالتمزق الكامل تعبيرًا عن أقصى مراحل الندم والاعتراف بالخطأ، فتمقل الأبيات مرآة لصراع الضمير بين الفعل والتقاعس عنه، وبين الرغبة في الحياة وشرف الشهادة التي ضاعت بسبب تلك الرغبة .

وتبقى هذه الحسرة تعج في صدره فيقول في موضع آخر حين أتهمه ابن زياد بأنه مع الحسين (عليه السلام) (الطبري، 1971م، الصفحات 5 / 469 - 470) ، فيقول (القيسي، 1976م، الصفحات 1 / 115 - 116) : (الكامل)

يقول أمير غادر حق غادر	**ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمه**
فيا ندمي ألا أكون نصرته	**ألا كل نفس لا تسدد نادمه**
وإني لأني لم أكن من حماته	**لذو حسرة ما إن تفارق لازمه**
سقى الله أرواح الذين تأزروا	**على نصره سقياً من الغيث دائمه**
وقفت على أجداثهم ومجالهم	**فكاد الحشا ينفض والعين ساجمه**

وابن الحر في قصيدته هذه وفي سائر قصائده الرثائية للأمام الحسين (عليه السلام) يعبر عن شعور عام بالحزن والأسى والندم اللامتناهي، فبعد اتهام ابن زياد له على نصرته امامه يرد هذا الاتهام بالحسرة والبكاء والتمني لو أنه حقيقة لا تهمة فقط، ويصدح عبر صوت الياء الندائي (فيا ندمي) بلوعته وأسفه فهذا الصوت الذي يحمل مد يوظفه الشاعر للتعبير عن تباريحه ومكنوناته النفسية وتوجعه، ثم يقف على أجداث الشهداء من اصحاب الحسين عليه السلام ويرثي هذه الأجساد الطاهرة داعيا الى قبورهم بالسقيا باكيا متحسرا، كما يمثل الحزن والبكاء لديه الى شعور داخلي يضرب ويهز الروح، الأمر الذي يدل على تحول الندم من مجرد فكرة عقلية الى تجربة شعورية تهز كيانه .

وهذا الندم ذاته يقعد به عن نصرة مصعب ابن الزبير حين دعاه للخروج معه (الطباطبائي، 1995، صفحة 94) : (الكامل)

أيرجو ابن الزبير اليوم نصري	**بعاقبة ولم أنصر حسينا !**
وكان تخلفي عنه تبابا	**وتركي نصره غبنا وجبنا**
ولو انـي اواسيه بنفسي	**اصبت فضيلة وقررت عينا**

كذلك من الشعراء الذين ظهرت عندهم آثار الاعتراف بالحسرة والتأنيب على التخلف عن نصرة الحسين عليه السلام الكميت وفي ذلك يقول (الرافعي، 1329هـ، صفحة 84) : (الطويل)

دعانِي ابْنُ الرَّسُولِ فَلَم أُجِبهُ	**ألهفي لهف للقلب الفروق**
حذار منية لا بد منها	**وهل دون المنية من طريق**

فمن خلال أبياته هذه يعترف بأن نفسه سولت له التخاذل والتردد عن نصرة إمامه خيفة الموت والقتل فأظهر ندمه وخيبته؛ إذ لم يكن مدركًا أن الموت واقع لا فرار منه وإن طال الزمان به، كما تعكس الابيات نضج الشاعر الداخلي، إذ يدرك في لحظة متأخرة أن النجاة ليست في الفرار من الموت، بل في الثبات على المبدأ، وهنا تُكرس لحظة الوعي حين يصبح الاعتراف لحظة تأريخ أخلاقي للخذلان، وفعل تطهيري في الوقت ذاته نابع من شعور عميق بالندم وتحمل المسؤولية. فالشاعر يُدين نفسه لا يبحث لها عن عذر فتتحول تجربته إلى الذاكرة الجماعية كعبرة مؤسسة لفهم معنى التوبة في لحظة ما بعد الفعل .

وفي موضع آخر يصف كيف سولت له نفسه في هذا التردد والتخلف في حوار مع ذاته قائلا (الرافعي، 1329هـ، الصفحات 74 - 75) : (الكامل)

إذا سمت نفسي نصرهم وتطلعت **إلى بعض ما فيه الذعافُ المُثَمَّلُ**

وقُلتُ لها بيعي من العيش فانياً **ببــاق أعزيهــا مــراراً وأعذل**

وألقي فضال الشك عنك بتوبـة **حواريـــة قَد طَالَ هَذَا التَفَضْـــلُ**

اتتنـــي بتعليل ومنتني المنـى **وقــد يقبــل الأمنيـــة المتعلل**

تعكس الأبيات السابقة وساوس النفس البشرية وفزعها وتوجسها من الموت، ويعترف من عبر مشهد حواري انشأه مع نفسه، إذ يخاطبها بعد إن أغرته بعدم تلبية دعوة امامه، وجملت له الدنيا، وقد أجاد الشاعر في تصوير هذه الوساوس ودناءة النفس تصويرًا دقيقًا في قوله (اعزيها مرارًا وأعذل) فتارة تأخذه الشهوات والملذات فيعزيها على ما تترك من اجل ما هو أدوم وأبقى وتارةً أخرى يعذلها ويزجرها على ما تسول له في طلب الدنيا، ويسألها ان تبيع فناء الدنيا بما هو أبقى وأعز عند الله، وان تذهب بتوبةٍ بعد إن طال بها تلذذها في الحياة، غير إنها كانت تُمنيه بالأسباب الدنيوية ورغباتها وشهواتها، كما احسن الشاعر توظيف الافعال في القصيدة (سمت، تطلعت، قلت، ألقي، أتتني، منتني...) ولاسيما الأفعال الماضية دلالة على انتهاء الأمر فلا عودة للنفس الى ما فاتها واستمرار الندم والتحسر والتفجع لما فات عنها، فتأتي التوبة كأمل أخير للخلاص مكتنفة بالأسى والتفجع، وحاملة لاعتراف يجسد خيانته لقيم عليا، كان الأجدر به ان يدافع عنها ويضحي في سبيلها، إذن فالأبيات ليست مجرد شكوى وجدانية، بل هي وثيقة شعورية تمثل صراع أخلاقي يعيشه الأنسان بعد إخفاقه في اتخاذ القرار الصائب في اللحظات الحاسمة، فالأبيات محملة بدلالات الاعتراف والتقريع الذاتي على موقفه الذي لو أختار فيه النصرة، لكان موضعًا للفخر لا للندم .

ويؤكد في موضع آخر على تمسك الأنسان في الحياة رغم ما فيها من متاعب وعناء وشقوة للنفس (الرافعي، 1329هـ، صفحة 67) : (الكامل)

رضينـــا بدنيا لا نريد فراقهـا **علـــى أننا فيها نموت ونقتـل**

ونحن بها مستمسكون كأنهـا **لنــــا جنة مما نخـــاف ومعقل**

أرانا على حب الحياة وطولها **يجـــد بنا في كل يـــوم ونهزل**

نعالج مرمقا من العيش فانيـا **له حارك لا يحمل العبء أجزل**

فيجزم الشاعر على تولع النفس البشرية وتعلقها بأحبال الحياة رغم ما يواجه فيها من آلام وقهر، حتى تبدو جنة له لشدة ما يتمسك بها إنها الجنة التي يوعدون فيها، ويؤكد في البيت الأخير فنائها وفناء العيش فيها فكلها الى انتهاء، لا بقاء فيها، وربما هذا الحب والتهافت على الحياة ولذتها هو ما قعد بالشاعر عن نصرة امامه ثم انتهاءه الى التحسر وتأنيب الضمير على ما فاته من شرف ونيل الكرامة عند الله، فما الدنيا الفانية أمام كرم الآخرة والفوز العظيم فيها، وربما قد يكون هذا الطرح لقضية الحياة الدنيا واعترافه بتمسكه بها إنما جاء من باب اللوم للنفس التي اغوته في ملذات العيش وحرمته نيل شرف النصر والشهادة، وهذا يتجلى في البيتين الأخيرين حيث يصف سعي الإنسان خلف سراب المتع، متجاهلًا المعنى الحقيقي وراء الحياة، معترفًا أن ما يتمسك به لم يكن يستحق تلك التضحية الوجودية، فالعيش الخالي من نصرة الحق والمبدأ يغدو عبئًا على صاحبه، وهذا ما يكشف عن ندم دفين على الاختيار الخاطئ، والاعتراف بالقصور الأخلاقي أمام الدنيا ومفاتنها .

وكذلك الحال مع عبد الله بن عوف الأزدي، شاعر التوابين الذين طالبوا بدم الحسين (عليه السلام) بعد مقتله فقد ظهرت لديهم آثار الحسرة على تخاذلهم والتردد عن نصرته، فيقول في حسرة متمنيًا لو أنه حضره وذاد عنه (الأمين، 1997، صفحة 2 / 162) : **(الكامل)**

وأضحى حسين للرمـــاح دريئـــة	**وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا**
فيـــا ليتنـــي إذ ذاك كنت شهدتـــه	**وضاربت عنه السائبين الأعاديا**
ودافعت عنه ما استطعت مجاهـدا	**وأعملت سيفـــي فيهـم وسنانيا**
ولكـــن قعدنـــا في معاشر ثبطـــوا	**وكـــان قعودي ضيلة من ضلاليا**
فيا ليتنـــي غودرت فيمن أجابـــه	**وكنت لـــه من مقطع القتل واديا**
ويا ليتني أخطرت عنه بأسرتـــي	**وأهلـــي وخلانـــي جميعا وماليا**
سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى	**بغربيـــة الطف الغمـــام الغواديا**

يتمنى الشاعر لو انه شهد واقعة الطف مع الحسين (عليه السلام) وحامى عنه وذاد بنفسه وسيفه عن الأعادي، وفي قوله (دافعت ما استطعت مجاهدا) يدرك أن الذي فات إنما هو جهاد ودفاع عن الإسلام وعقيدته، ويعترف بقعوده عن نصرته وأن قعوده هذا إنما كان ضلالة من عنده، وتمنى لو انه لبى دعواه حين دعى الأمام (عليه السلام) إلى الذهاب لكربلاء والدفاع عن الدين والعقيدة، ولو فدى له أهله وعياله وأمواله، وهذا تأكيد منه على عظيم ما فاته وافضليته على جل ملذات الدنيا وهي المال والعيال فما عند الله اعظم وأجل مما سوف يترك خلفه، موظفًا في تمنيه هذا حرف التمني (ليت) ، الذي يكرره في ابياته، والدال على استحالة تحقيق ما يتمنى فلا عودة أو رجوع لما انقضى، فلم يبقَ له سوى التحسر ولا يحصد سوى التأنيب واللوم لذاته، والوقوف على القبور والبكاء والندب على أثرها والدعاء لها بالسقيا لما ضمت من أجساد طاهرة تقية، كما تبرز دلالات الندم بشكل واضح في أساليب التمني مثل " فيا ليتني إذ ذاك كنت شهدته"، "فيا ليتني غودرت"، "و يا ليتني أخطرت عنه بأسرتي"، أذ تتحول "ليت" الى أداة ترسم فجوة بين ما وقع فعلًا وما كان يجب أن يقع، وأدراك الحقيقة بعد فوات الأوان والعجز عن تغيير مجراها، حتى يصبح الندم عبارة عن اعلان وجودي لفشل الذات في انتصارها للقيم العليا، كما يمثل هذا الاعتراف محاولة تطهيرية عبر الندم والتمني، فالأبيات إذن تمثل وثيقة وجدانية تعبر عن ثقل الذنب عند اتصاله بالتاريخ والمصير، ومدى هشاشة الأنسان أمام لحظات الحق الفاصلة .

الخاتمة

وبعد اكتمال رحلة البحث والتحليل توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج :

- أن الاعتراف بالخطأ والندم هما من أبرز المشاعر الإنسانية، وتجلت في صور عديدة في الأدب، كما يمثل لحظات التأمل الداخلي والتصدع الذاتي ليقين الأنسان ويحفزه على الإقرار وإعلان التوبة ،كما وقد يؤدي الأمر بالإنسان إلى جلد ذاته ندمًا وحسرة .

- تبرز النصوص التي ذكرناها سابقًا تفاعل النفس البشرية مع هذه المشاعر ولحظات السقوط الأخلاقي، ومحاولاتها في ترميم هذا السقوط عبر الاعتراف والبوح .

- يمثل الندم والاعتراف في السياق الديني طريقًا للتوبة وشرطًا للغفران، ومظهرًا من مظاهر خضوع الانسان ولجوئه إلى خالقه، فتُطهر النفوس عبر الاعتراف، وتُفتح للفرد صفحات جديدة وأفق جديد للوجود القيمي .

- إما الاعتراف في سياقه العاطفي حين يأسف الشاعر على تفريطه بمحبوبته، أو خذلانه إياها عبر البعد والجفاء، يحاول عبر الاعتراف محو هذه الخطيئة وهذا الذنب بالاعتذار والمصالحة، فيكون الاعتراف وسيلة اعتذارية من قبل الشاعر عسى أن تُغفر خطيئته .

- كما يمثل ندم الشعراء في سياقه القيمي المتشكل عبر فعل الخذلان للقيم والمثل العليا يرى فيه الشاعر خذلانًا وندمًا وجوديًا، حيث أصبحت واقعة كربلاء اختبارًا للقيم والمبادئ القائمة على العدالة والوفاء، والتخلف عنها لا يُغتفر في الضمائر المؤمنة .

- فتتحول القصيدة الاعترافية إلى وثيقة إقرار بالتقصير، و إعلان للندم، وبحث عن التكفير، حتى يمثلان هذان الفعلان بعدًا أخلاقيًا، ويعيدان صياغة الذات وعلاقتها بالآخرين وبالله تعالى، فالاعتراف الصادق يعتبر لحظة تحول في الذات الإنسانية، وعلامة على نضجها الروحي والأخلاقي .

المصادر والمراجع

أولاً / القرآن الكريم

ثانياً / الكتب العربية :

- الأغاني : أبو فرج الأصفهاني ، تحقيق أحسان عباس، د . ابراهيم الصافي، بكر عباس، دار الصادر، بيروت، ط1، 2002م .
- تاريخ الطبري : تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط2 ، 1971م .
- ترجمة الامام الحسين ومقتله : من القسم غير المطبوع لطبقات أبن سعد، تحقيق عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، ط1، 1995 .
- الحياة والموت في الشعر الأموي: محمد بن حسن الزير، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1989م .
- الدروس والعبر في غزوات وسرايا خير البشر: غريب محمود قاسم، الوادي للثقافة والاعلام، القاهرة، ط1 ، 2019 .
- ديوان أعشى همذان : تحقيق حسين عيسى أبو ياسين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض_ المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م .
- ديوان الاحوص : جمع وتحقيق : عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.
- ديوان جميل بثينة: جمعه بطرس البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1982م .
- ديوان قيس بن ذريح: شرح عبد الرحمن المسطاوي، دار المعرفة، بيروت_لبنان، ط2، 2004م .
- ديوان وضاح اليمن: محمد بهجت الاثري، جمعه وشرحه محمد حير البقاعي، دار الصادر، بيروت، ط1، 1996م .
- سيكولوجية الاعتراف : نيقولاس جامقاس، ترجمة شريف جيد، الرواد، د.م، ط2، 2015م .
- الشخصية من منظور نفسي اسلامي: شادية أحمد التل، دار الكتاب الثقافي، الأردن_ اربد، 2006، د.ط .
- شرح ديوان الفرزدق: إليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت_لبنان، ط1 ،1983م .
- شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة: محمد محي الدين ، مطبعة السعادة، ط2، 1960م .
- شرح هاشميات الكميت : محمد محمود الرافعي، مطبعة شركة التمدن، مصر، ط2، 1329هـ .
- شعر النعمان بن بشير الانصاري: تحقيق يحيى الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1968م .
- شعراء أمويون : نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ط، 1976م .
- الغزل العذري دراسة في نشوء الحب المقموع ومقارنته بالشعر الرومانسي: يوسف اليوسف، مطبعة الكاتب العربي، صادر عن منشورات أتحاد الكتاب العربي، دمشق، د.ط، 1978م .
- الكامل في التاريخ ، ابن الاثير الجزري، تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ، بيروت_لبنان، ط1، 1987م .
- مستدركات أعيان الشيعة: حسين الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت،ط2، 1997م .
- معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م .
- المعجم الوسيط : ابراهيم انيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله الاحمد، انتشارات ناصر خرسو، طهران، ايران، ط2، د.ت .

ثالثاً / البحوث والمجلات العلمية :

- الباعث الاجتماعي في شعر كثير عزة والعباس بن الاحنف: د. ياسين علي عبد، رؤى سمير سالم، مجلة القادسية للعلوم الأنسانية، المجلد22، العدد2 .

❖ مقـال : الفيلسـوف كيركجـارد: القلـق يكشـف عـن عظمـة الانسـان: محمـد الهلالـي، مجلـة الهـدف، 15 سـبتمبر، 2021م.
❖ الندم في الشعر الجاهلي : أسامة خلف عواد، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد15، العدد52 .

رابعاً / الرسائل والأطاريح :

❖ التوبة والأستغفار في الشعر المقصد والمقطعات من بداية العصر الاموي حتى نهاية القرن الثامن: رقيـة بنـت عبـد الرحمن الصبة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 2002م .
❖ شعر التجربة المتفردة حتى نهاية العصر الأموي: رسالة ماجستير، هديل محمد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة بغداد، 2014م .